دروس من عمل النبي ﷺ في تكوين الجماعة الأولى

«السرية ونوعية الأشخاص»

تاريخ تسلّم البحث ٢٠٠١/١/٧ تاريخ قبـوله للنشر ٢٠٠١/٦/٢١

*فايز عبدالفتاح أبو عمير**

Abstract

In view of the aassertions of some authors about the prophet's biography that the earliest converts to Islam were mendicant and extremely poor, and that they held quit a humble position in Qureish, that, more over, most of them were slaves. I undertake this research to refute this false allegation with irrefutable proofs an devidence.

I also follow up with a concise and significant study of the prophet's (peace be up on him) endeavors in laying the basis for the first Muslim community, and in adopting a policy of taciturnity and veiling secretey both in the early and later periods.

ملخّص

أمام إصرار بعض الكاتبين في السيرة النبوية حول النفر السابقين إلى الإسلام بحيث يصفونهم بضعف الحال والفقر والعوز الشديدين، وأنهم لا شأن لهم في قريش، بل معظمهم من الأرقاء والعبيد. في هذا البحث رددت على هذه المقالة بالدلائل والبينات.

كما أضفت إليه دراسة مختصرة بينت فيها عنصر السرية في إنشاء الجماعة الأولى، بل وبقاء هذا العنصر معمولا به بعد الجهر بدعوته صلى الله عليه وسلم، وفي هذا من أعظم الدروس في العمل الدعوي وإنشاء الجماعة الإسلامية في العصر الراهن.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن نجاح الأعمال يكمن في حسن إدارتها وتنظيمها ووضع الحلول المناسبة للمشاكل المتوقعة والطارئة، ووضوح الرؤية للمستقبل وحسن التوكل على الله تعالى.

فمنذ أن نزل الوحي على رسول الله ﷺواستشعاره عظم ما أوحي إليه وما كلف به، عمل منذ البداية عملا حثيثا لإنجاح هذه الدعوة ووضع الخطط المناسبة للوصول إلى الهدف المنشود.

* أستاذ مساعد، كلية الشريعة، جامعة جرش الأهلية.

علم النبي ﷺ -بنور النبوة- أن الدعوات ونجاحها يكمن في إنشاء تنظيم يقوم على دعائم وأسس متينة تتحطم على صخرتها كل الدسائس والفتن التي ستحيط به، تنظيم لابد له من سلامة التخطيط وحسن الإدارة وقوة الإرادة، فالنبي ﷺ وهو القدوة والأسوة الذي يحتذى به، يعلمنا الطريق الصحيح لسير الدعوات، ونهوضها النهضة الصحيحة المؤثرة.

إذن الطريقة الطبيعية والمنتجة هي إنشاء التنظيم ووضع الخطط وابتكار الوسائل والأساليب التي من شأنها إعطاء ثمرة طيبة ناضجة ونتيجة صحيحة ليس فيها مغامرة، والدروس والعبر في عمله ﷺ في إنشاء هذا التنظيم عديدة، والجوانب التي لم تسلط عليها الأضواء أكثر، فكان لابد من دراسة بعض هذه الجوانب وإيلائها الأهمية لعلها تسهم في فهم جديد لعمله ﷺ ، من شأن هذا الفهم أن يضع النقاط على الحروف، ويسهم في بناء العمل الدعوي في العصر الراهن.

ومن الجوانب التي رأيت من المهم تسليط الأضواء عليها؛ جانبان:

الأول: السرية في عمله ﷺ في إنشاء التنظيم حتى بعد الجهر بالدعوة وإبقاء جزء من التنظيم سريا.

الثاني: نوعية الأشخاص الذين ركز النبي ﷺ الدعوة فيهم؛ من أجل قيام الدعوة على كواهلهم.

المبحث الأول: السرية.

لعل من نافلة القول أن النبي ﷺ ابتدأ أمره وبسرية تامة[١] بدعوة مجموعة من الناس مختارة، اختارها ﷺ بعناية فائقة، واشترط عليهم كتمان الأمر إلى حين، كشف النبي ﷺ مراده في الوقت الذي يراه مناسبا، ولذلك نجده ﷺ كان يشترط على كل من يدخل في هذه الدعوة الجديدة كتمان الأمر وأن لا يتحدث به إلا بعد مراجعته وعرض الأمر عليه.

والحق أن التنظيم بقي سريا حتى بعد أن جهر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته، حيث كشف جزءا منه ولم يكشفه كله، وسأضرب بعض الأمثلة التي تؤيد ما ذهبت إليه:

أولا: قال ابن إسحاق[٢]: ثم إنه كان هو -ﷺ- وخديجة يصليان سرا، ثم إن عليا جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال علي: ما هذا يا محمد، فقال: دين اصطفاه الله لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده وكفر باللات والعزى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل، فلست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب، وكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن عليه أمره، فقال له: يا علي إن لم تسلم فاكتم، فمكث علي تلك الليلة ثم أوقع الله في قلبه الإسلام، فأصبح فجاء إلى رسول الله ﷺ وبقي يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم إسلامه».

وهذا وإن كان من غير سند إلا أنه يتلاءم مع بدئه ﷺ بالدعوة سرا، وإصراره على أن يبقى الأمر مخفيا عن القوم حتى حين، وعلي رضي الله عنه وإن كان صغيرا إذ ذاك إلا أن النبي ﷺ أخبر وأدرى بالرجال أكثر من غيره، خصوصا أن عليا هو تربية بيت النبوة فنشأ على الشاكلة التي أرادها النبي ﷺ في حفظ الحديث وعدم الخوض مع الخائضين .

ثانيا: وفي حديث عمرو بن عبسة[٣] أنه قال للنبي ﷺ : فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به...

وفي رواية لأحمد[٤]: وكان عمرو يقول بعد ذلك: فلقد رأيتني وأني لرابع الإسلام.

قال النووي[٥]: «دليل على فضلهما وقد يحتج به من قال إنهما أول من أسلم».

والواضح من الحديث أن هذا الكلام كان بعد استعلان الدعوة وظهور أمرها، والحق أنه في تلك الفترة كان قد آمن عدد كبير من الأحرار والعبيد ودليل ذلك ما في رواية مسلم السابقة «فقلت -أي عمرو-: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني».

وهذا واضح أشد الوضوح في أن عمرا جاء والنبي ﷺ وصحبه يعانون من قريش أشد المعاناة، ولذلك أخذ عمرو الأمر على ظاهره فظن أنه رابع أربعة دخلوا هذا الدين الجديد، ولذلك استخدم النبي ﷺ التورية في عدم كشف أي شيء يتعلق

بأصحابه خصوصا في هذه المرحلة، ويكون تأويل كلامه ﷺ على وجهين :

الوجه الأول : أراد الجنس - أي أحراراً وعبيداً - ولم يرد العدد.

الوجه الثاني : وهذا المراد من ذكر هذا الحديث، حس النبي ﷺ المرهف من الناحية الأمنية حول أصحابه، فعندما جاء رجل غريب لا يعرفه وسأل سؤالا أمنيا فيه كشف أصحابه لم يعطه النبي ﷺ جوابا شافيا، بل استخدم التورية لأن الاثنين كانا معه وهما مكشوفان فلم يرد كشف آخرين.

ولننظر إلى روعة كلام الدكتور أكرم العمري(٦): «ومما يدل على أن المسلمين كانوا متكتمين في أمر إسلامهم، أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه كان يرى نفسه رابع الإسلام أيضا. وقد علل بعض الرواة تعارض كلام أبي ذر مع كلام عمرو بن عبسة فقال: كلاهما لا يدري متى أسلم الآخر، مما يشير إلى أن مبدأ سرية الدعوة كان يراعى في بعض الحالات حتى في مرحلة الدعوة الجهرية تبعا لما هو في مصلحة الدعوة الناشئة».

إلا أنني كنت أفضل أن يستعمل فضيلة الدكتور العمري بدل كلمة سرية الدعوة سرية التنظيم أو سرية الاتصال، لأن الدعوة أصبحت معروفة، وقد جهر بها النبي ﷺ وهذا واضح أشد الوضوح من خلال وصف أبي ذر وعمرو بن عبسة للحال التي كان عليها المسلمون آنذاك، ومن المؤكد أنها كانت في حال الجهر بالدعوة.

ثالثا: أخرج البخاري(٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع منه قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل، فرآه علي فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمر به علي، فقال: أما نال للرجل أن يعلم

منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك فأقام معه ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدنني فعلت. ففعل، فأخبره، قال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل، فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال النبي ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه، وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه».

وفي هذا الحديث عدة قضايا مهمة جدا يجب لفت النظر إليها:

١- أن أبا ذر رضي الله عنه عندما دخل مكة عرف أن الأمر جد خطير وليس من السهل السؤال عن رجل يعتبر في عرف الجاهليين متمردا، ولذلك آثر عدم السؤال عنه حفاظا على نفسه ابتداء، وعلى الهدف الذي جاء من أجله. وهذا يعني أن أبا ذر رضي الله عنه قد أسلم بعد الجهر بالدعوة واستعلان أمرها، وإلا كيف وصلته هذه المعلومات، وإلا كيف أحس بخطورة ما هو مقدم عليه، والدعوة لا زالت مجهولة الهوية والمقصد، وهذا أيضا يرجح أن التنظيم بقي سريا والدعوة جهرية ويؤيده ما سيأتي.

٢- ويؤيد هذا أن عليا رضي الله عنه كان قد تأهل لمراقبة ومحاورة أبي ذر، ومتابعته ودعوته إلى المنزل أكثر من مرة. فقد ذهب أكثر أهل السير وكتب الصحابة أن عليا رضي الله عنه حين أسلم كان عمره عشر سنوات، ومثله لا يتأهل لأن يقوم بمثل هذه الأفعال، فلو أضفنا ثلاث سنوات أو أربع -وهي مدة السرية- لكان عمره مناسبا أن يقوم بمثل ما قام به.

قال ابن حجر[٨] وهذا يدل على أن قصة أبي ذر وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين بحيث تهيأ لعلي أن يستقل بمخاطبة الغريب ويضيفه، فإن الأصح في سن علي

حين المبعث كان عشر سنين وقيل أقل من ذلك، وهذا الخبر يقوي القول الصحيح.

٣- أن النبي ﷺ -لا شك في ذلك- قد علم أصحابه كتمان الأمر، وأخذ الحيطة والحذر من كل قريب وبعيد، وكل معروف وغريب حتى لا تؤخذ الدعوة وتغتال مبكرا، ولذلك نلاحظ أن عليا رضي الله عنه عندما رآه عرف أنه غريب فدعاه بطريقة معينة إلى منزله، وهنا وقفتان:

الأولى: أن عليا وأبا ذر لم يسيرا معا بل إن عليا سار أولا وتبعه أبو ذر حتى وصلا إلى المنزل، وهذا غاية في الحيطة والحذر.

الثانية: هل كانت الدعوة إلى منزل خاص بعلي رضي الله عنه أم إلى بيت أبيه أبي طالب أم إلى بيت محمد ﷺ الذي كان يعيش فيه والمرجح أن الدعوة لم تكن إلى منزل النبي ﷺ قطعا فإنه لم يتعرف عليه إلا في دار الأرقم كما هو وارد في سياق الرواية وهذا درس آخر في عدم كشف أي شيء يتعلق بالنبي ﷺ قبل معرفة مقصد هذا الغريب ويتعرف عليه عن قرب.

٤- بعد أن اطمأن علي رضي الله عنه إلى الرجل وخبره على مدى ثلاثة أيام فاتحه بالأمر وسأله ما الذي أقدمك، وكأن أبا ذر لم يكن قد اطمأن بعد فما فاتحه بالأمر حتى أخذ منه العهد والميثاق إلى أن يرشده إلى غايته وإلى مقصده الذي جاء من أجله.

٥- نلاحظ أن عليا رضي الله عنه لم يأخذ أبا ذر مباشرة إلى النبي ﷺ، بل قال رضي الله عنه: فإذا أصبحت فاتبعني. وهذا قد يعني أحد أمرين أو كليهما:

أ- أن عليا رضي الله عنه قد ذكر أمر أبي ذر للنبي ﷺ فحتى يأخذ موافقة من النبي ﷺ للقياه أم لا.

ب- أو يأخذ موعدا من النبي ﷺ للقيا أبي ذر في ساعة من نهار اليوم التالي، ساعة لا يكون فيها أحد من أصحابه ﷺ حتى لا ينكشف أمر أحد هو في غنى عن كشفه ومعرفة أمره.

٦- نلاحظ مدى عبقرية علي رضي الله عنه، وشدة حرصه على عدم كشف سر النبي ﷺ ، والدلالة على مكان وجوده، حيث طلب من أبي ذر أن يتبعه ولا يسير معه. وأيضا فإن عليا أدرى بالأعداء المتربصين بالدعوة والمراقبين لتحركات النبي ﷺ وصحبه من أبي ذر، فعند شعوره بأي شيء من هذا القبيل يقوم بحركة -كإشارة- تدل على وجود خطر أو مراقبة أو ما شابهه، فيفهم أبو ذر ما رمى إليه علي من هذه الحركة فيأخذ حذره.

٧- نلاحظ أن أبا ذر رضي الله عنه لم يذكر أسماء أحد من الصحابة، كانوا مع النبي ﷺ في تلك المقابلة مما يعني أنه لم يكن مع النبي ﷺ أحد، وهو ما يرجح علم النبي ﷺ المسبق بمجيء أبي ذر.

٨- نلاحظ أن النبي ﷺ قد أمر أبا ذر بالكتمان - وكأني بأبي ذر فهم أمر النبي ﷺ ليس على وجه الإلزام بل على وجه الأفضل والأحسن له لأنه غريب وسيلحق به الأذى فرفض إلا أن يصدع بها بين أظهرهم فحصل له ما حصل وكأنه امتحان لقدرات أبي ذر في هذا المجال فأمره بالعودة إلى قبيلته.

٩- نلاحظ أن النبي ﷺ كان يأمر كل من أسلم من غير أهل مكة أن يعود إلى قبيلته، وفي ذلك عدة دروس وعبر:

أ - هؤلاء رصيد للدعوة خارج مكة يستخدمه ﷺ في الوقت الذي يراه مناسبا.

ب- أنه خاف عليهم من قريش أن تقتل أحدا، فتصبح القضية بين قريش وغيرها من القبائل وقد تحدث حرب ضروس طويلة الأمد كما حصل من قبل في حروب الجاهليين، وبالتالي فإن الدعوة سينظر إليها على أنها المثيرة للفتن والحروب.

ج- لا شك أن دورهم في قبائلهم والقبائل المجاورة سيكون مؤثرا، خصوصا في إيجاد رأي عام في الجزيرة العربية، يتضامن مع النبي ﷺ ودعوته الجديدة.

د - وأمر مهم أيضا أن هذا الغريب ستكون تحركاته مكشوفة فيما لو بقي في

مكة، مما يعني أن أفراد التنظيم سيكتشفون واحدا واحدا، فمن المعروف أن الإنسان يألف من هم على شاكلته وقد يقع في أخطاء قاتلة نتيجة عدم التنبه إلى مثل هذا الأمر.

١٠- من المعلوم أن قريشا في بداية الأمر لم تحمل فعل النبي ﷺ على محمل الجد، وما قامت به من ضرب أبي ذر يدل دلالة قاطعة أن الأمر وصل بين المسلمين والمشركين إلى حد الصدام، وهذا لم يحدث إلا بعد مدة من الجهر وهذا يعزز ما ذهبنا إليه من أن إسلام أبي ذر كان في فترة الجهر بالدعوة.

١١- وإذا أخذنا بعين الاعتبار دور العباس رضي الله عنه في هذه القضية وقضايا أخرى فإن المرء يكاد يجزم بتقدم إسلامه، إلا أنه كان يظهر الكفر ويبطن الإسلام حتى يؤمن الحماية وتخليص من يقدر على تخليصهم من براثن الجاهليين المتربصين بالدعوة ورجالاتها وهذا يقودنا إلى النقطة الرابعة.

رابعا: يقول الله تعالى «هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما»[٩]

قال الطبري[١٠] في تفسير هذه الآية: ولولا أن تطأوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لأن الله أذن لكم في دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك «ليدخل الله في رحمته من يشاء» يقول ليدخل الله في الإسلام من أهل مكة من يشاء، قبل أن تدخلوها، وقوله لو تزيلوا يقول: لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم، «لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما» لقتلنا من بقي فيها بالسيف أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وقال سيد قطب[١١] فلقد كان هنالك بعض المستضعفين من المسلمين في مكة لم يهاجروا ولم يعلنوا إسلامهم تقية في وسط المشركين، ولو دارت الحرب وهاجم المسلمون مكة، وهم لا يعرفون أشخاصهم فربما وطأوهم وداسوهم وقتلوهم، فيقال:

إن المسلمين يقتلون المسلمين! ويلزمون بدياتهم حين يتبين أنهم قتلوا خطأ وهم مسلمون».

قلت: المعنى المفهوم من الآية أن هناك مجموعة من المسلمين ضمن المجتمع المكي الجاهلي، لم تعرف هويتهم الإسلامية لا من قبل المشركين ولا حتى من قبل المسلمين، وهؤلاء انصب الحديث عنهم في أنهم مستضعفون، والحق أنه بالإضافة إلى هذا الضعف هناك مجموعة أخرى غير مستضعفة لكن لا شك أنها كانت تقوم بمهمات محددة من قبل النبي ﷺ داخل المجتمع المكي الجاهلي، طيلة فترة مكوث النبي ﷺ وبعد انتقاله إلى المدينة، فإنهم كانوا يعيشون عيشا، طبيعيا غير مفتعل حتى لا ينكشف أمرهم وعلى رأس هؤلاء العباس رضي الله عنه، فإن كل الدلائل تشير إلى ذلك.

خذ مثلا هذه الحادثة، وكيف قام بحماية أبي ذر ليس خوفا على تجارة قريش -قد يكون ذلك- لكن قام به تحقيقا لسلامة أبي ذر، ولو كان في اليوم الأول مصادفة فهل ما حصل في اليوم الثاني مصادفة أيضا.

من الدلائل الأخرى أن الرجل الوحيد الذي شهد بيعة العقبة الثانية هو العباس رضي الله عنه، وبيعة العقبة -كما نعلم- هي أهم -بل وأخطر- منعطف في تاريخ الدعوة فكيف يشهدها رجل كافر ولا يشهدها أي رجل مسلم، لكن المرحلة الآن تتطلب أن لا يظهر ذلك.

ولو لاحظنا قول كعب بن مالك(١٢): فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان من تكلم العباس بن عبدالمطلب فقال: يا معشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه .. لعلمنا أهمية دور العباس رضي الله عنه.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده(١٣) من طريق أبي الزبير عن جابر قال: كان العباس أخذ بيد رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يواثقنا، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ: أخذت وأعطيت» فهل يأخذ الكافر ويعطي.

ودلالة ثالثة هو أمر النبي ﷺ المسلمين بعدم قتال العباس في معركة بدر، وعلل النبي ﷺ ذلك بأنه خرج مكرها. هذا صحيح ظاهرا، وأما الذي ينقدح في الذهن أنه مسلم يخفي إسلامه فكان الأمر بعدم مقاتلته ولذلك ما لبث أن وقع في الأسر حتى لا يقاتل أو يقتل.

وعندما انتهت مهمته رضي الله عنه توجه بأهله إلى المدينة لأن الأمر قضي وانتهى بصلح الحديبية وكان فتحا مبينا فلا ضرورة لوجوده.

وفي ظني أن مهمة العباس وغيره ممن كان في مكة كانت باتجاهين:

الأول: إيصال المعلومات المهمة والضرورية التي تتعلق بالنبي ﷺ والمسلمين والتي تدور في مكة وبالتالي إبقاء النبي ﷺ على علم مسبق بكل تحركات القوم، صحيح أن النبي ﷺ يخبره الوحي إلا أنه ﷺ بوصفه القدوة والأسوة يعطينا درسا واضحا ومهما في هذا الجانب.

الثاني: تخذيل القوم وإفشال خططهم بكل ما أوتي من قوة وذلك بإبداء الرأي حول ما يطرح من مشاريع لحرب النبي ﷺ وذلك بالتقليل من شأن ما طرح أو عدم جدواه أو بيان مدى الصعوبة في تطبيقه والله أعلم.

قال ابن حجر(١٤) : وحضر -أي العباس- بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرا مكرها فأسر فافتدى نفسه وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ورجع إلى مكة، فيقال: إنه أسلم وكتم عن قومه ذلك، وصار يكتب إلى النبي ﷺ بالأخبار، ثم هاجر قبل الفتح بقليل».

إلا أن هذا لا يعني أن أخبار النبي ﷺ لم يعلم بها القوم مطلقا إلا بعد ثلاث سنوات، بل رشحت بعض الأخبار وذلك نتيجة وقوع خطأ ما أو محض الصدفة وقدر الله ذلك ،ولطبيعة مكة الاجتماعية والجغرافية لا تخبّأ الأخبار فيها مدة طويلة، لكن قريشا لم تحمل ذلك على محمل الجد ظنا منها أن النبي ﷺ إنما مثله مثل من سبقه من بعض أبناء قريش الذين تركوا عبادة الأوثان وأكل ما ذبح على النصب ومخالطة القوم في العادات المذمومة...، فكان مصيرهم بين احتمالات ثلاثة(١٥):

أولا: إما ترك المعتقد الجديد نتيجة لضغوطات اجتماعية أو اقتصادية...

ثانيا: أو ترك القوم وتنسك في زاوية أو صومعة فتركته قريش لعدم تأثيره عليها.

ثالثا: أو بادأ القوم بما يعتقد فكان نصيبه المعاداة والطرد مثل زيد بن عمرو ابن نفيل، ولذلك لم تكن قريش تحسب النبي ﷺ غير ذلك وما مصيره إلا واحد من تلك الاحتمالات الثلاثة، وإذا علمنا أن قريشا تحب الوئام والأمان لطبيعة مكة الدينية والتجارية لعرفنا أنها لن تقدم من أول يوم على محاربة النبي ﷺ، ولذلك فضلت عدم المجابهة بل تركت الأمر لقابل الأيام.

المبحث الثاني نوعية الأشخاص:

لعله أصبح من المشهور في الكتابات الحديثة(١٦) -بالذات- أن الجماعة الأولى التي أنشأها النبي ﷺ تميزت بضعف المكانة والعوز الشديد وقلة الحيلة وعدد لا بأس به من العبيد، وها أنا ذا أنقل بعضا منها:

يقول د. سعيد البوطي(١٧): «وكانت حصيلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب أربعين رجلا وامرأة، دخلوا في الإسلام عامتهم من الفقراء والأرقاء ومن لا شأن لهم بين قريش».

وقال في موضع آخر(١٨): وتحدثنا السيرة أن الذين دخلوا في الإسلام في هذه المرحلة كان معظمهم خليطا من الفقراء والضعفاء والأرقاء، فما الحكمة في ذلك، وما السر في أن تتأسس الدولة على أركان من مثل هؤلاء الناس.

والجواب أن هذه الظاهرة هي الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء في فترتها الأولى، ألم تر إلى قوم نوح كيف كانوا يعيرونه بأن أتباعه الذين من حوله ليسوا إلا من أراذل الناس ودهمائهم «ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي» هود (٢٧).

وأما الفقراء والمستضعفون، فما كان ليصدهم عن التجاوب مع إيمانهم والانقياد له عليه الصلاة والسلام شيء، أضف إلى ذلك ما يشعر به أحدهم عند سلطانه أو قوة غير قوته، فهذا الشعور الذي هو ثمرة الإيمان بالله عز وجل، يزيده في الوقت ذاته قوة، ويجعل صاحبه في نشوة وسعادة غامرة.

ومن هنا نعلم عظم الفرية التي يفتريها بعض محترفي الغزو الفكري في هذا العصر، حينما يزعمون بأن الدعوة التي قام بها محمد ﷺ، إنما هي من وحي بيئته العربية نفسها، وأنها إنما كانت تمثل حركة الفكر العربي إذ ذاك، فلو كان كذلك، لما كان رصيد هذه الدعوة بعد سنوات ثلاث من بدايتها أربعين رجلا وامرأة، معظمهم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء، وفي مقدمتهم أخلاط من الأعاجم صهيب الرومي، وبلال الحبشي».

ويقول د. محمد أبو فارس(١٩): «ولقد استمر رسول الله ﷺ ثلاث سنوات وهو يدعو الناس سرا إلى الإسلام، وتحرك بعض الصحابة بهذا الدين سرا يبلغه للناس حتى بلغ عدد الذين أسلموا في هذه المرحلة نحو أربعين شخصا من الرجال والنساء، معظمهم من الفقراء والأرقاء».

ويقول أيضا(٢٠): الفقراء هم أتباع الرسل: يذكر أن معظم الذين آمنوا من الفقراء، فما السر في ذلك؟ إن الفقراء أقرب في الفطرة إلى الهداية لأن سبيل الإغراء والإغواء لا تتوفر لهم، بعكس الأغنياء، فإن سبل الفساد والإفساد متوافرة لهم وفي متناول أيديهم، والفقراء يبحثون عن محرر لهم ومنصف ينصفهم من الطواغيت وعملائهم الذين أذلوهم وصادروا حرياتهم واغتصبوا حقوقهم، والرسل وحدهم هم المنقذون لهم.

ويقول الأستاذ أحمد فريد(٢١): «أكثر الذين استجابوا لدعوة الرسول ﷺ من الضعفاء والموالي، وهم أقرب الناس إجابة لدعوة الرسل، لأنهم لا يصعب عليهم أن يكونوا تبعا لغيرهم، أما الكبراء وأهل الجاه والسلطان فيمنعهم الكبر وحب الجاه والرفعة عن الانقياد غالبا، كما قال تعالى في قصة موسى «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها» الأعراف (١٣٧) وقال قوم نوح عليه السلام «وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي» هود (٢٧). وقال عز وجل في قصة صالح عليه السلام «قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون، قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون» الأعراف (٧٥-٧٦)».

بعد استعراض أقوال بعض المعاصرين -نقلت بعضا منها وأشرت إلى البقية في الصفحة السابقة للاختصار- حول النفر الأول ممن آمن بالدعوة الجديدة حيث تطابقت وجهة نظرهم في وصفهم لهؤلاء النفر بالفقر والعوز وضعف المكانة، فهل هذا الكلام صحيح، وهل له في أرض الواقع دليل يستند إليه؟.

ولذلك فقد عمدت إلى دراسة أوائل أفراد الجماعة الأولى، وأريد أن أنبه إلى قضية مهمة جدا وهي أن الدراسة منصبة على الأوائل الذين آمنوا بدعوته ﷺ وليس على كل من آمن خلال العهد المكي، والتي قام النبي ﷺ بإنشائها في غضون ثلاث سنوات -أو أربع- من التعب المضني في إعدادهم إعدادا فكريا ونفسيا وروحيا لتكون الركائز والدعامات لانطلاقة قوية مباركة تهز أركان القوم تجعلهم يعيدون الحسابات وينتبهون لما ينتظرهم من أحداث جسام.

من هنا كان لا بد من دراسة هذا النفر العظيم دراسة مستفيضة جاءت على النحو التالي:

١- من هم أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وما نسبهم وهل هم حقيقة من نسب وضيع؟

٢- هل هم فعلا من الفقراء؟

٣- هل هم فعلا لا شأن لهم في قريش؟

٤- هل جلهم أو غالبيتهم من الموالي والعبيد؟

٥- ما أدلة القائلين بهذا القول. وما الرد عليهم؟

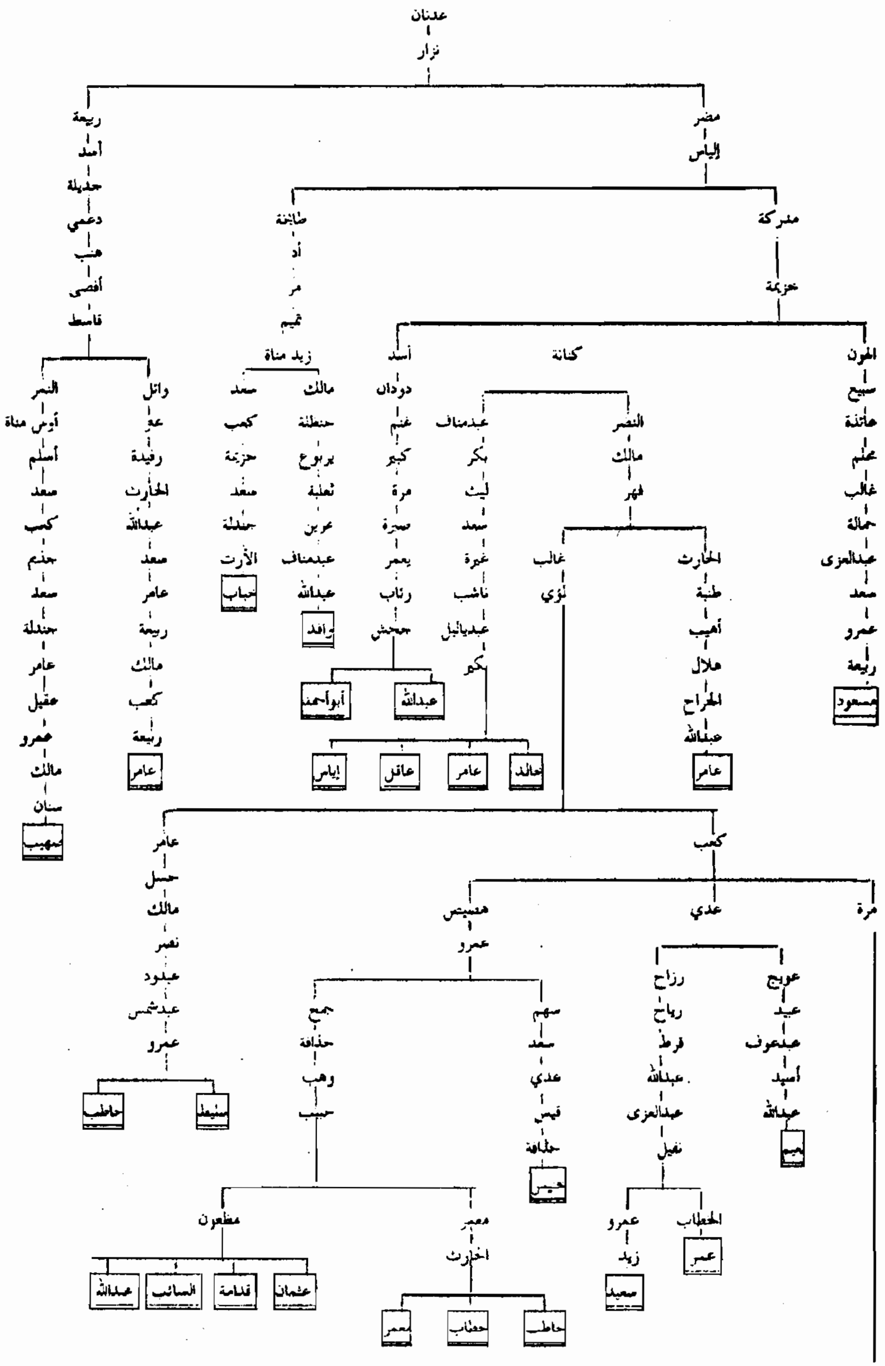
أولا: من أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وما نسبهم وهل هم حقيقة من نسب وضيع؟

بادئ ذي بدأ أتوقف هنا وقفة مع السيد كونستانس رجيو[٢٢] حيث قال: كانت السيدة خديجة أول من آمن بمحمد ﷺ وتلاها في الإيمان ابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان بمثابة ابنه والمسلم الثالث كان زيدا غلام محمد ﷺ الذي قلنا إنه كان غلام رسول الله ﷺ واستمر الإسلام على هؤلاء الثلاثة مدة ثلاث سنوات من

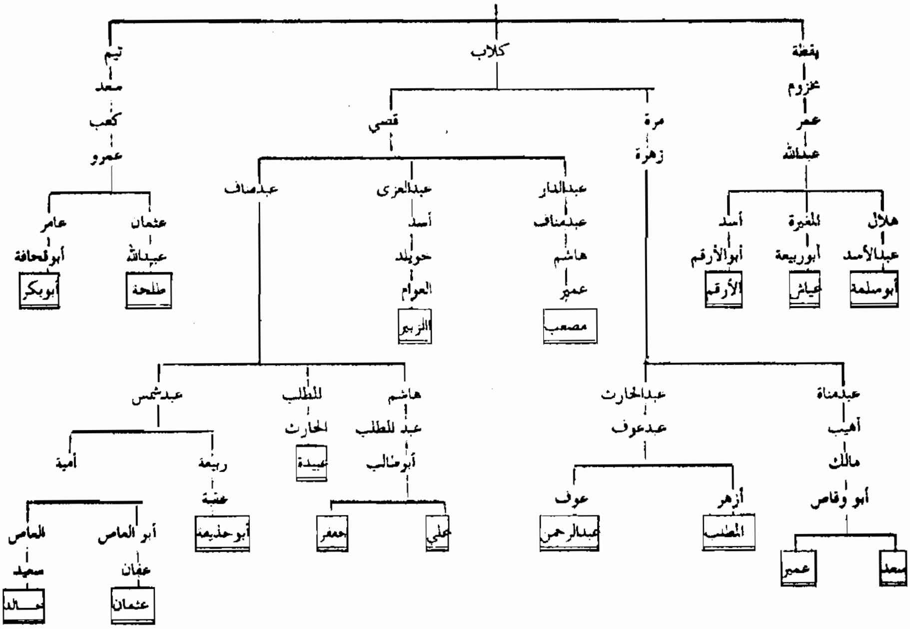
غير أن يوافق أحد على الدخول في الدين الجديد».

والحق أن هذا الكلام يعوزه الدليل ولم أجد في المصادر التي بين يدي ما يؤيد دعواه هذه، بل ما هو مثبت في كتب السيرة والذين سأذكرهم في هذا الفصل عددت أصحاب النبي ﷺ ممن سارع إلى الإيمان فردا فردا، وهؤلاء النفر الذين ذكروا في تلك المصادر سأذكرهم حسب نسبهم في قبائلهم وسينصب العمل في أسماء الرجال لأن النساء سيكون لهن نصيب في هذا البحث.

وقد قمت بعمل شجرة نسبهم من عدنان إلى كل واحد منهم و قد وضعت اسم الصحابي داخل مربع -هكذا □- حتى يتميز اسمه، وقد اعتمدت في ذكر هذا النفر على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته[٢٣] وقد اعتمد معظم من كتب في هذا الأمر من بعده عليه أمثال الطبري وابن حزم وابن عبد البر والذهبي وغيرهم[٢٤] في خلاف يسير بينهم.



يتبع في الصفحة التالية أبناء مرة بن كعب



كما نعلم أن قريشا تعتبر السيادة لها على مكة وهم ينحدرون من أبناء فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة، كما يوجد في مكة من القبائل العربية الأخرى والتي تنحدر من أصل عدناني، وإذا أمعنا النظر -بعد دراسة شجرة النسب السابقة- نجد معظمهم من قريش والبقية -إلا ثلاثة- من قبائل عدنانية لها قيمتها ووزنها في مكة.

بعد دراسة شجرة النسب نلاحظ ما يلي:

أولا: أن ثلاثين رجلا من هؤلاء هم من أبناء قريش وموزعون على أفخاذ قريش المتعددة وهي:

أ- بنو هاشم :

١- جعفر بن أبي طالب.

٢- علي بن أبي طالب.

ب - بنو المطلب بن عبد مناف:

٣- عبيدة بن الحارث.

د - بنو تيم :

٦- أبو بكر الصديق.

٧- طلحة بن عبيد الله.

ج – بنو أمية :

٤- عثمان بن عفان .

٥- خالد بن سعيد بن العاص .

و- بنو زهرة .

٩- عبدالرحمن بن عوف .

١٠- المطلب بن أزهر .

١١- سعد بن أبي وقاص .

١٢- عمير بن أبي وقاص .

ز – بنو أسد :

١٣- الزبير بن العوام .

ح – بنو عبد الدار .

١٤- مصعب بن عمير .

ط – بنو مخزوم :

١٥- الأرقم بن أبي الأرقم .

١٦- عياش بن أبي ربيعة .

١٧- أبو سلمة بن عبدالأسد .

ي – بنو عامر :

١٨- سليط وحاطب ابنا عمرو.

هـ – بنو عبد شمس :

٨- أبو حذيفة بن عقبة .

ك – بنو عدي : ٢٠- عمر بن الخطاب

٢١- نعيم بن عبدالله .

٢٢- سعيد بن زيد .

ل – بنو سهم :

٢٣- خنيس بن حذافة .

م – بنو جمح :

٢٤- حاطب .

٢٥- وحطاب .

٢٦- ومعمر أبناء الحارث .

٢٧- عثمان .

٢٨- وقدامة .

٢٩- والسائب .

٣٠- وعبدالله أبناء مظعون .

ن – بنو الحارث بن فهر .

٣١- أبو عبيدة عامر بن الجراح.

ثانيا: أبناء القبائل العربية العدنانية من غير قريش إلا أنهم من حلفائها وهم:

٣٢- مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة.

٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦- خالد وعامر وعاقل وإياس أبناء بكير الليثيين حلفاء بني عدي.

٣٧، ٣٨- عبد الله وأبو أحمد ابنا جحش الأسديان من حلفاء بني عبد شمس.

٣٩- واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي.

٤٠- خباب بن الأرت التميمي حليف بني زهرة.

٤١- صهيب بن سنان النمري مولى عبدالله بن جدعان.

٤٢- عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي.

من خلال ما سبق أضع بين يدي القارئ الكريم الملحوظات التالية :

١- أن واحدا وثلاثين رجلا من السابقين من أقحاح العرب وخلصهم نسبا وهم من أبناء قريش.

٢- أن أحد عشر رجلا من البقية هم من أقحاح العرب أيضا فهم عدنانيون وهم بالإضافة إلى ذلك حلفاء قريش.

٣- أن ثلاثة -فقط- من السابقين ليسوا من قبائل عدنانية وحصل لهم رق إلا أنهم تحرروا من العبودية قبل دخول الإسلام، وهم : زيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة، وعمار بن ياسر.

٤- نلاحظ أن معظم بطون قريش كان لها نصيب من هذه الدعوة فنجد من كل بطن رجلا أو اثنين أو أكثر وكأني برسول الله ﷺ يريد أن يشكل جماعة مسلمة فتية من جميع القبائل الموجودة في مكة، هذه الجماعة ينطلق كل فرد فيها داعية في قبيلة، أو حتى لا تتعالى قبيلة على أخرى أنه ليس فيها من آمن بهذه الدعوة بعكس تلك القبيلة التي صبأ منها رجال لم تستطع قبيلتهم أن تردعهم وتضع لهم حدا.

٥- إن بداية الدعوة وتكوينها لا بد أن تقوم على عملية انتقاء دقيقة ومحسوبة لأنها النواة التي تتركز عليها الدعوة في ما بعد.

يقول الدكتور أبو فارس(٢٥): «فأخذ النبي ﷺ يتصل سرا بمن يثق به من الرجال والأصدقاء والأقارب وأهل بيته ولا يتصل ﷺ إلا بمن كتم أمره وحفظ سره ﷺ وكان له أمل في إسلامه واتباعه على هذا الدين الجديد».

ويقول د. العمري(٢٦): «وكان المجتمع المكي -شأن سائر الجزيرة العربية-

يعتمد في تنظيمه على القبيلة، فهي الوحدة الاجتماعية والسياسية، ويعتمد في تلاحمه على العصبية القبلية، فهي التي تشد أبناءها إلى بعضهم، ولما كانت مكة تخضع لقبيلة واحدة هي قريش بفروعها الأربعة عشر، فقد بدت هذه الفروع (العشائر) وحدات ذات كيان خاص، لكنها متحالفة داخل الكيان العام لقريش، وكان المتوقع أن ينتشر الإسلام في العشيرة التي ينتسب إليها الرسول، ثم قريش التي ينتمي إليها أخيرا، ولكن يلاحظ أن انتشار الإسلام لم يرتبط بالعصبية القبلية ولا العشائرية، فلم يكن نصيبه من أفراد بني هاشم أعظم من بقية عشائر قريش، وإن كان بنو هاشم يتعاطفون معه أكثر من سواهم، لكن هذا التعاطف لم يجرهم إلى الدخول في الإسلام، بل مات كبيرهم وأقوى مناصريهم للرسول ﷺ دون أن يدخل في الإسلام.

لقد انتشر الإسلام في المرحلة المكية في سائر فروع قريش بصورة متوازنة دون أن يكون لأحد عشائرها ثقل كبير في الدعوة الجديدة، وهذه الظاهرة مخالفة لطبيعة الحياة القبلية آنذاك. وهي إذ أفقدت الإسلام الاستفادة الكاملة من التكوين القبلي والعصبية القبلية لحماية الدعوة الجديدة ونشرها، فإنها بنفس الوقت لم تؤلب عليه العشائر الأخرى بحجة أن الدعوة تحقق مصالح العشيرة التي انتمت إليها وتعلي من قدرها على حساب العشائر الأخرى».

وهنا لا بد من التوقف قليلا عند القبيلة وأهميتها قبل الإسلام وكيف استفاد النبي ﷺ من هذا التنظيم في إنشاء الدعوة والدولة على حد سواء(٢٧)، حيث جعل الإسلام العقيدة الأساس الفكري الذي يجب أن تبنى عليه الشخصية المسلمة لا الأساس القبلي والتعصب العرقي(٢٨) فقد جعل ذلك بغيضا وحذرت منه آيات قرآنية كثيرة، قال تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)(٢٩) وقوله تعالى (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون)(٣٠).

كما نهى الرسول ﷺ عن التفاخر بالآباء الذين ماتوا في الجاهلية، وجعلهم قدوة يحتذى بهم فما هم إلا أناس ضلوا الطريق ولم يرشدوا(٣١).

لقد طلب الإسلام من المسلمين ليس فقط كسر العادات والتقاليد التي ورثوها عن آبائهم، ولكن التخلص وبكل ما أوتوا من قوة من العلاقات القبلية السائدة عند العرب[٣٢]، وليس الأمر كما قال هاف[٣٣]: «والواقع أن نمط العائلة الكبيرة كتقليد سابق على قيام الإسلام قد عززه التشريع الإسلامي الذي لا يعترف بكيانات مستقلة، إذا لا يعترف القانون الإسلامي بشخصيات تعاونية».

والحقيقة أن الإسلام لم يعزز النظام القبلي إلا بالمقدار الذي يحقق منه الفائدة للنظام كله، فالديات والميراث والولاء وصلة الأرحام ومفهوم الحماية والإجارة[٣٤]، كل ذلك من أجل تدعيم أواصر المحبة بين الناس، وحمل الناس بعضهم بعضا فيما يحقق النفع والفائدة للصالح العام، وعيش الأفراد بسلام ووئام.

ولذلك قال ابن خلدون[٣٥] «ومن هذا تفهم معنى قوله ﷺ» تعلموا أنسابكم ما تصلون به أرحامكم «بمعنى أن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة لأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة، وما فوق ذلك مستغنى عنه إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام».

وقال الماوردي[٣٦] «فإذا أراد المولى أن يولي على الطالبيين نقيبا أو على العباسيين نقيبا يخبر منهم أجلهم بيتا وأكثرهم فضلا وأجزلهم رأيا فيولى عليهم لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة فيسرعوا إلى طاعته برياسته وتستقيم أمورهم بسياسته».

ولذلك قال تيرنر[٣٧] حتى إن مكانة محمد ﷺ داخل الجماعة، كان يعتمد جزئيا على أسس قبلية».

من هنا نفهم عمق الفهم السياسي والاجتماعي من قبل النبي ﷺ في إدراك الوضع السائد في الجزيرة العربية، وما بنيت عليه قرونا متطاولة، فاستفاد من هذا النظام القبلي في تكوين الجماعة الأولى[٣٨] وتحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه للدعوة الناشئة والتي استمدت في كثير من الأحيان الحماية من هذا النظام القائم، حيث قيض الله تعالى لها أبا طالب وعند وفاته سمي ذلك العام بعام الحزن، للخسارة الكبيرة التي لحقت بالدعوة الناشئة، ولذلك نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب[٣٩]، ولئن هان على قريش حبس المسلمين في

الشعب ومقاطعتهم، إلا أن هذا لم يرق لأشراف منها، فعمدوا إلى تمزيق الصحيفة الظالمة، وإبطال ما جاء فيها رغم معارضة كبراء قريش، ورغم ما كانوا يتوقعونه من الصد والعدوان من هؤلاء الكبراء إلا أن ذلك لم يمنعهم من المضي قدما في عملهم حتى تمزيق الصحيفة أو إعلان الحرب على كل من يمنعهم من إتمام عملهم[٤٠]. ولقد حصل من بعضهم أن كان يبعث بالطعام سرا إلى المسلمين، وما ذلك إلا غيرة العربي وعصبيته لقومه، وإن كان لا يبعد أن يكون بعض المسلمين ممن كان يخفي إسلامه قام بمثل هذه الأعمال[٤١].

ثانيا: من ناحية الفقر.

الحقيقة أن مصادر السيرة التي بين أيدينا لم تعتن كثيرا بهذه الناحية فليس من الإنصاف أن يوصفوا بالفقراء من غير دليل يسعف في ذلك.

لكننا نجد بالمقابل عددا من السابقين أثبتت المصادر أنهم من الأغنياء المقتدرين والذين كانوا من التجار أو الصناع أو ممن ورثوا أموالا وجاها في قومهم، وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة؛

١- قال ابن إسحاق[٤٢]: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله، وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق معروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه وفيمن يغشاه ويجلس إليه، فآمن بدعائه فيما بلغني عثمان بن عفان والزبير بن عوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله»، وإذا عرفنا أن أصحاب المرء هم على شاكلته غالبا فأصحاب مهنة ما أو عمل هم أقرب لبعضهم البعض من أصحاب مهن أو أعمال أو تخصصات أخرى، فمن ذكرهم ابن إسحاق قد استجابوا لأبي بكر رضي الله عنه هم على شاكلة أبي بكر -رضي الله عنه- في التجارة ويسر الحال.

٢- مثال آخر: نعيم بن عبد الله النحام[٤٣] قال ابن حجر: «قال مصعب الزبيري كان إسلامه قبل عمر ولكنه لم يهاجر إلا قبيل فتح مكة وذلك لأنه كان ينفق

على أرامل بني عدي وأيتامهم فلما أراد أن يهاجر قال له قومه أقم ودن بأي دين شئت».

٤- يقول الله تعالى: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله...)[٤٤]. أنظر كيف قرن سبحانه بين الهجرة والجهاد بالمال والنفس، فمن أين كان لهم مال يجاهدوا به ولما يلتقطوا أنفاسهم بعد.

قال ابن إسحاق[٤٥]: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تعالى وإلى الرسول ﷺ إلا أهل دور مسمون.

فإذا كانت لهم أموال إما تركوها وإما حملوها فجاهدوا في سبيل فيها فاستحقوا الثناء من الله تعالى فقد تركوها لله وحملوها لله.

٥- في دائرة المعارف الإسلامية[٤٦] وتحت مادة الأرقم ما يلي:

«وهو الأرقم أبو عبدالله بن عبد مناف (بن الأرقم) بن أسد صحابي من عشيرة مخزوم وهي من أغنى عشائر مكة وأكثرها احتراما، وقد اعتنق الإسلام وهو حدث وكان من أوائل الذين آمنوا. ومع أن بني مخزوم كانوا من أشد الناس عداوة للرسول إلا أن ذلك لم يمنع الأرقم أن يكون من أخلص أنصاره حتى إنه قدم بيته للنبي أيام محنته ليجتمع فيه المسلمون».

يقول الخضري بك[٤٧]: وهكذا دخل هؤلاء الأشراف في دين الإسلام ولم يكن مع رسول الله ﷺ سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم، وذوي الثروة منهم ويتبعوا الرسول ﷺ ليأكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه ﷺ كأبي بكر وعثمان وخالد ابن سعيد وغيرهم....

ومع ذلك فأنا لا أدعي بأنهم جميعا أغنياء، ولا كذلك ندعي أنهم فقراء من غير دليل، بل من الخطورة بمكان تصوير أصحاب النبي ﷺ بمثل الصورة التي عرضت.

ثالثا: من ناحية ضعف المكانة أو هم ممن لا شأن لهم وأنه توجد فيهم نسبة

عبيد لا بأس بها: والحقيقة أن العكس هو الصحيح وسأبين هذا الأمر من خلال ما يلي:

١- إن القيم القائم عليها المجتمع الجاهلي هي القيم المادية فحسب وهي المعيار والمقياس للشخص عند القوم فصاحب المال وصاحب العشيرة هو المقدم ومن لم يكن كذلك فهو المؤخر مهما كانت لديه ميزات ومواهب.

فمن خلال ما سبق نجد أن غالبية من سبق إلى هذه الدعوة هم من أعز أبناء قريش نسبا ومكانة وشأنا، فمن خلال قيم المجتمع الجاهلي المادي لهم الشأن ولهم المكانة، ومن خلال القيم التي شرعها الله تعالى هم كذلك.

ولا أدعي أنهم كانوا كلهم من ذوي الرأي، وهم مرجعية قريش بحيث لا تصدر إلا عن رأيهم أنا لا أدعي ذلك بل جلهم من الشباب والذين يشكلون في ذلك المجتمع الصف الثاني، لكن لا نستطيع أن ندعي أنهم من الضعفاء أو لا شأن لهم، فهم أبناء سادة وأبناء تجار إلا اللهم قلة منهم أمثال عامر بن فهيرة وعمار بن ياسر ووالده فلا يصح أن يجعل هؤلاء هم القاعدة في الحكم وينسى أو يتناسى أمثال أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن والزبير بن عوام و..الخ(٤٨).

ولا أظن أن المنهج العلمي يقبل مثل هذه الإطلاقات خصوصا إذا أعوزها الدليل.

أما من ناحية وجود عبيد في بداية الدعوة فإن هذا الكلام يعوزه الدليل ولا يقوم بمثله حجة أو برهان أو إثارة من العلم وسألخص ردي على هذا القول بالنقاط التالية:-

أ- من خلال استعراض الأسماء التي ذكرت نلاحظ أنه لا يوجد أي عبد رقيق وإنما هم جميعا أحرار.

ب- ما ذكر أن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه هو رومي الأصل فهو غير صحيح على الإطلاق فهو عربي عدناني الأصل كما ذكرت في شجرة النسب.

وما قيل فيه إنه رومي إلا لأنه سبي من قبل الروم وهو صغير.

قال ابن سعد(٤٩): كان أبوه وعمه من جهة كسرى وكانت منازلهم من جهة الموصل، فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه، ويقال بل هرب من الروم فقدم إلى مكة فحالف ابن جدعان.

وعلى أي الرأيين كان فإن صهيبا ليس روميا، وليس بعبد حالة إسلامه بل إنه أصبح من أثرياء مكة وقصته معروفة في هجرته -رضي الله عنه- عندما أرشد المشركين إلى ماله وهاجر إلى الله وإلى رسوله ﷺ(٥٠).

ج- أما بالنسبة لبلال رضي الله عنه، فإن المصادر -التي ذكرت أسماء أول من آمن- قد اختلفت فيه فمنهم من ذكره فيهم ومنهم من لم يذكره، وابن إسحاق عمدة أهل السير في ذكر أول من آمن لم يذكره بينما نجد ابن عبد البر وابن حزم وابن حبان ذكروا أشخاصا في أول من آمن في الفترة السرية، هم باتفاق تأخر إسلامهم بعد ظهور أمر النبي ﷺ، واستعلان الدعوة، منهم ابن مسعود وحمزة وعائشة رضي الله عنهم، فإن ذكرهم له هو من باب ذكر السابقين إجمالا لا ذكر أول من آمن في دار الأرقم، فالمعروف أن هؤلاء رضي الله عنهم من السابقين، لكن لم يكونوا من السابقين الذين أسلموا في فترة الاستخفاء.

لكن هناك من ذهب إلى أنه -أي بلالا- من السابقين ومن الأدلة:

١- عن همام قال سمعت عمار بن ياسر يقول(٥١): رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة، أعبد وامرأتان وأبو بكر».

قال ابن حجر(٥٢): «أما الأعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فإنه أسلم قديما مع أبي بكر، وروى الطبراني من طريق عروة أنه كان ممن يعذب في الله، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف، ذكر ابن إسحق أنه أسلم حين أسلم بلال، فعذبه أمية فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وأما الخامس فيحتمل أن يفسر بشقران، فقد ذكر ابن السكين في كتاب الصحابة، عن عبدالله بن داود أن النبي ﷺ ورثه من أبيه هو وأم أيمن، وذكر بعض شيوخنا بدل أبي فكيهة عمار بن ياسر، وهو محتمل، وكان ينبغي أن يكون منهم أبوه وأمه، فإن الثلاثة كانوا ممن يعذب في الله، وأمه أول من استشهد في الإسلام، طعنها أبو

جهل في قلبها بحربة فماتت، وأما المرأتان فخديجة وأم أيمن أو سمية، وذكر بعض شيوخنا تبعا للدمياطي: أنها أم الفضل زوج العباس، وليس بواضح لأنها وإن كانت قديمة الإسلام إلا أنها لم تذكر في السابقين، ولو كان كما قال لعد أبو رافع مولى العباس لأنه أسلم حين أسلمت أم الفضل، كذا عند ابن إسحاق، وفي هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقا، ولكن مراد عمار بذلك ممن أظهر إسلامه، وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم، لكنهم كانوا يخفونه عن أقاربهم، وسيأتي قول سعد أنه كان ثلث الإسلام، وذلك بالنسبة إلى من اطلع على إسلامه ممن سبق إسلامه».

٢- عن عبد الله بن مسعود[٥٣] قال: أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد».

نلاحظ أن المؤلفين في السيرة مثل ابن إسحاق وابن حزم وابن حبان وابن عبد البر، لم يذكروا المقداد في أول من آمن، وكذا اختلفوا في ذكر سمية، وكذا اختلفوا في ذكر بلال رضي الله عنهم، وعليه فإن الإطلاع على المعلومات في تلك الفترة كان في غاية السرية، وكأن النبي ﷺ كان قد عمل على جعل الصحابة رضوان الله عليهم على شكل مجموعات أو خلايا -سمها ما شئت- لا تعرف عن بعضها البعض، من هنا كان يعتقد بعضهم أنه ثلث الإسلام أو ربع الإسلام...[٥٤].

ثم أن إسلام ابن مسعود قد تأخر عن الرعيل الأول. ودليل ذلك ما رواه أحمد[٥٥] عن عبدالله رضي الله عنه قال: كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن معيط بمكة، فأتى علي النبي ﷺ وأبو بكر وقد فرا من المشركين... الحديث.

وفيه دلالة واضحة على أن عبدالله بن مسعود قد تعرف على دعوة النبي ﷺ بعد استعلانها وظهورها، لأن فيه مقالته «وقد فرا من المشركين»، فإنه كان يسمع من الناس ما يدور من حديث حول الدعوة الجديدة، حتى تعرض هو شخصيا لحادثة وقعت له مع النبي ﷺ، أسلم على إثرها، فذكر ما قاله الناس وما ورده من معلومات حيث عرف ابن مسعود أن أبا بكر شخصيا مع النبي ﷺ، أما البقية فأمرهم مشهور في مكة من ناحية الأذى والتعذيب، بعكس البقية من بعض أبناء قريش حيث لم يعرف بإسلامهم ولم يشتهر أمرهم -في بداية الأمر- وأرى ذلك لسببين:

١- أن أهليهم من قريش لم يعذبوهم في بداية الأمر وأرادوا أخذهم بالرفق واللين حتى إذا لم تفلح طريقتهم هذه استخدموا الترهيب...

٢- أن أهليهم أرادوا ستر أمر أبنائهم مخافة اللوم والعار من قبل بطون قريش الأخرى فبقي الأمر مستترا حتى حين.

وإذا عرفنا منهج النبي ﷺ في إنشاء الجماعة المسلمة الأولى على أساس السرية والتكتم نجده ﷺ لم يوجه الدعوة بشكل مباشر إلى الفئات الثلاث التالية:

١- النساء من غير أزواج أو بنات أو أمهات ممن آمن.

٢- الأطفال من غير أبناء ممن آمن.

٣- العبيد والموالي من غير عبيد وموالٍ ممن آمن.

والسبب في ذلك أن السرية التامة تقتضي هذا الأمر ابتداء، لأن هؤلاء أمرهم ليس بأيديهم بل هم تبع لغيرهم، فأما المرأة فإن الحديث سيكون عنها في النقطة التالية، وأما الأطفال فلا يحفظون سرا -غالبا- وأما خروج العبد من بيت سيده مرات ومرات سيكشف أمر النبي ﷺ وصحبه، لكن عندما أعلن ﷺ دعوته للناس جميعا لايمكن لرسول الله ﷺ أن يمنع أحدا من دخولها، وليست حكرا على أحد، بل هي دعوة عالمية لجميع الناس، فدخل ساعتئذ العديد من العبيد الذين رأوا الخلاص من العبودية والذل والهوان الذي يلاقونه صباحا مساء، ولذلك نلاحظ سرعان ما انكشف أمرهم بعكس غيرهم من الأحرار الذين لا يتعرضون للمسائلة أو المحاسبة إجمالا.

رابعا: المرأة ودورها:

ولنتوقف عند دور المرأة في بداية الدعوة الإسلامية، والتي شهدت من بعد انطلاقة ما عرفت لها الدنيا مثيلا، إلى وقتنا الحاضر، ولن تشهد حالا أفضل منها إلى قيام الساعة.

حيث «نستطيع القول: إن المرأة كانت تعطى المكان الثاني في المجتمع البدوي لأن القيم الاجتماعية عند العرب مبنية على أسس لا يمكن للمرأة بكم عوامل كثيرة

أن تحوزها، ومتى كانت إحدى النساء تتخطى قدرها وتمتاز بشيء مما يميز الرجال رفعت مكانتها، ولم يضن عليها الناس بالتقدير، وهكذا وجدت بين نساء العرب شاعرات وتاجرات وكاهنات وذوات شرف وسيادة ومكانة.

غير أن الذي نذكره هنا هو حوادث فردية محدودة ويجب أن لا تحجب عنا الواقع، فالمرأة كانت دون الرجل، ويظهر ذلك في نواحٍ كثيرة نذكر منها صورة القرآن الكريم مثلا، قال تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون). (النحل ٥٨).

ونفهم مبلغ هذا الحزن لولادة الأنثى إذا عرفنا أن المجتمع كان يتطلب قوى لحمايته والإنتاج له والمرأة في حاجة للحماية وهي مستهلكة وتنتج مستهلكين»[٥٦].

ولقد نعت آيات قرآنية على المشركين في وأدهم للبنات وقتلهم أبناءهم خشية الفقر (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)[٥٧] وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم)[٥٨] هذا وإن لم يكن عند كل العرب إلا أنه وجد في بعض الحالات التي استحقت أن تذكر قرآنا.

ولئن حظيت المرأة الشريفة ببعض التكريم والاعتراف لها ببعض الحقوق إلا أن معظم النساء العربيات لم يحظين بشيء يذكر، ولم يعترف لهن بكثير من الحقوق[٥٩] بل وصل الأمر في كثير من الأحيان إلى هضم حقوقها كاملة، ولقد كان من عادات بعض العرب انتقال المرأة كأي شيء مادي إلى ملك الورثة[٦٠].

ولقد كان للمرأة منذ انطلاقة الدعوة دور مميز تمثل في العدد الملفت للنظر إلى أن عصر الظلمة قد ولى وأن انطلاقة في عالم الإنسانية قد أشرق ولمح نوره وضاءا، أما النسوة فهن :

١- أسماء بنت أبي بكر الصديق.

٢- أسماء بنت سلامة زوج عياش بن أبي ربيعة.

٣- أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب.

٤- أمينة بنت خلف الخزاعية زوج خالد بن سعيد بن العاص.

٥- خديجة بنت خويلد زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

٦- رملة بنت أبي عوف زوج المطلب بن أزهر.

٧- سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر.

٨- فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد.

٩- فاطمة بنت المجلل زوج حاطب بن الحارث.

١٠- فكيهة بنت يسار زوج حطاب بن الحارث.

يقول الأستاذ منير الغضبان[٦١]: لقد كان ربع هذا المجتمع من النساء، ومعظم الشباب المتزوجين أسلمت معهم زوجاتهم، وعشن المرحلة السرية دون أن يدري بهن أحد، وحافظن على السر وكتمنه دون أن نسمع شيئا من إفشائهن له. ولعلنا نعطي المرأة من الاهتمام في مسيرة الدعوة فتكون بجانب الرجل أختا وزوجة وأما تعيش همه».

خامسا: أدلة القائلين بضعف المكانة والفقر والعوز من السابقين في الإسلام:

في هذا المبحث سأسلط الأضواء على الأدلة التي اعتمدها القائلون بأن النفر الأول ممن سارع إلى الإيمان هم جلهم من الفقراء والمعوزين وممن لا شأن لهم في قريش وهذه الأدلة على النحو التالي:

الدليل الأول: أخرج ابن سعد[٦٢] عن محمد بن عمر الواقدي قال حدثني معمر بن راشد عن الزهري قال: دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سرا وجهرا، فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس، حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر فشنفوا لرسول الله ﷺ عند ذلك وعادوه».

أقول وهذا الأثر مردود من جهة السند والمتن:

أما السند ففيه علتان كل واحدة كفيلة برده:

أما الأولى: فيه محمد بن عمر الواقدي وهو متروك عند أهل الحديث، وقد ضعفه غير واحد من علماء الجرح والتعديل(٦٣).

والثانية : الإرسال، فالزهري من صغار التابعين، ومن كبار التابعين ممن أدرك عددا من أصحاب رسول الله ﷺ رد العلماء مراسيلهم، فكيف بتابعي صغير لم يدرك إلا الواحد أو الاثنين من صحابة رسول الله ﷺ فعلى قاعدة المحدثين وقواعد الشافعي وقواعد الفقهاء في قبول المرسل إرسال الزهري مردود(٦٤).

أما من جهة المتن : فقد اتفق المؤرخون لسيرته ﷺ على أن الدعوة مكثت ثلاث سنوات من السرية والكتمان فكيف دعا سرا وجهرا(٦٥).

وقوله حتى كثر من آمن به يناقض قوله تعالى (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم ..)(٦٦) فهاهم بنص الآية القرآنية القطعي وصفهم بالقلة فمن أين أتت الكثرة.

وأما قوله أن قريشا تركته وشأنه حتى عاب آلهتهم وذكر آباءهم بسوء، فإنه يناقض الأحاديث الصحيحة الواردة بالجهر بالدعوة فقد روى البخاري ومسلم(٦٧) في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين ..) فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، فقال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قال؛ فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب».

لكن ذهب ابن الأثير وغيره إلى أن قريشا تركت النبي ﷺ وشأنه بعد إعلان الدعوة وحصل الصدام بعد أن عاب آلهتهم وذكر آباءهم بسوء.

قال ابن الأثير(٦٨) وأمر رسول الله ﷺ أن يصدع بما جاءه من عند الله وأن يبادئ الناس بأمره ويدعوهم إلى الله، فكان يدعو في أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث

سنوات مستخفيا، إلى أن أمر بالظهور للدعاء، ثم صدع بأمر الله وبادأ قومه بالإسلام فلم يبعدوا منه ولم يردوا عليه إلا بعض الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه إلا من عصمه الله منهم بالإسلام وهم قليلون مستخفون».

ويقول د. صالح العلي(٦٩): «ومن بين السابقين في الإسلام من الحلفاء وربما المعتقين، ولعلهم هم المستضعفون الذين أشار إليهم الزهري بقوله: فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس، وقد عرف الواقدي المستضعفين بأنهم قوم لا عشائر لهم بمكة وليست لهم منعة ولا قوة، فكانت قريش تعذبهم بالرمضاء بأنصاف النهار ليرجعوا عن دينهم».

الدليل الثاني: ما ورد في قوله تعالى (و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)(٧٠) وفي قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا).(٧١)

فقد أخرج الطبري(٧٢) عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك، هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعا لهؤلاء؟ أطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت الآية «ولا تطرد الذين يدعون ربهم ..»

أقول إن الحديث في هذا البحث منصب على الجماعة الأولى قبل استعلان الدعوة وظهور أمرها، وليس البحث في كل من آمن خلال الفترة المكية، فمن خلال سياق الآية القرآنية نجد الحديث يتعلق بالفترة الزمنية التي ظهرت فيها الدعوة وليس في الفترة السرية مدار البحث.

ثم إن قريشا طلبت عدم ظهور مجموعة بعينها ولم تذكر كل أصحاب النبي ﷺ ممن آمن، وهذا لا ينكره أحد أن أصحاب النبي ﷺ خليط من الأشراف والأغنياء وذوي المكانة والمستضعفين والفقراء والموالي.

الدليل الثالث: قوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)[٧٣].

فهذه الآية وصفت المهاجرين بـ (الفقراء) كما هو منصوص في الآية القرآنية الكريمة.

والحق أن لا دليل في ذلك، فإن المهاجرين أصبحوا فقراء بعد غنى، حيث نصت الآية على انهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم .

فقد روى ابن جرير[٧٤] عن قتادة قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر خرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرهما .

وأخرج أيضا[٧٥] عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبدالرحمن بن أبزى قالا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله إلى أنهم فقراء وجعل لهم سهما في الزكاة».

الدليل الرابع: ما ورد في بعض الآيات القرآنية من وصف أتباع الرسل بالضعفاء والأرذال ومنها قوله تعالى «ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي»[٧٦] وقوله تعالى «قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم كافرون»[٧٧].

الدليل الخامس: ما جاء في حديث أبي سفيان مع هرقل[٧٨] حينما سأله عن أتباع سيدنا محمد ﷺ، سأل هرقل أبا سفيان: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وعندما رد هرقل على إجابات إبي سفيان كان رده على هذه الإجابة قال: وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل...

أقول في الرد على الدليلين الرابع والخامس:

أولا: إن الآيات القرآنية والحديث لم يقرران حال المؤمنين بل ذكرت رأي طرف في حق الطرف الآخر، رأي الكافرين بالمؤمنين ولذلك نجد التعبير القرآني غاية في الدقة حينما وصف أتباع الأنبياء بالمستضعفين وفرق بين الضعيف والمستضعف، ولذلك نجد كيف وصف أتباع محمد ﷺ بقوله «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ..»[٧٩].

فهم القلة المؤمنة مقابل الكثرة الكافرة، فمن الطبيعي أن يستضعفوا، وليرسم كل واحد منا في مخيلته هذه الصورة التي وصف بها رب العزة القلة المؤمنة «تخافون أن يتخطفكم الناس» وكم هي الصورة فظاعة وشدة، فالجاه والغنى والحسب والنسب لن يشفع لهم متى خرجوا عن عادات القوم وتمردوا على ذوي الرأي، فكان لا بد أن يواجهوا بمثل ما وجهوا به.

فقد عرضت وجهة نظرهم لا أكثر، حيث اعتبر القوم خروج هذه الفئة عن دين قومهم يجعلهم بهذه الصفة، والمعروف أن الشريف في قومه إذا تغيرت حاله نجد القوم يتنكرون له، وينظرون له نظرة مختلفة وينتقصون منه بل ويتهمونه بما ليس فيه. وخير مثال على ذلك ما رواه البخاري[٨٠] في صحيحه من قصة إسلام عبدالله ابن سلام، حيث قال للرسول ﷺ: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: أي رجل عبدالله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه ..».

ثانيا: إن الآيات القرآنية والحديث النبوي لم تقرر حالا على حقيقة الأمر، وإنما ذكرت حكاية قوم عن قوم كما في قوله تعالى على لسان عزيز مصر «إن كيدكن عظيم»[٨١].

ولذلك ذهب بعض الناس يأخذ بهذه الآية ويستدل بها على عظيم كيد النساء، حتى إنه لا يدانيه كيد الشيطان الذي كان ضعيفا. فالنصوص الشرعية هنا لم يكن قصدها ذكر الأمر على حقيقته حول أتباع الرسل، وإنما ذكرت وجهة نظر الكفار في الذين آمنوا.

ولذلك قال الطبري[٨٢] قوله تعالى «وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف فيما يرى ويظهر لنا».

ثالثا: وقد يكون أمر الدعوات السابقة كذلك لا دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهي مختلفة تماما، ولذلك قال سيد قطب[٨٣]: وهم يسمون الفقراء من الناس أراذل، كما ينظر الكبراء دائما إلى الآخرين الذين لم يؤتوا المال والسلطان! وأولئك هم أتباع الرسل السابقون غالبا ..».

رابعا: أما قول هرقل في أن أتباع الرسل هم الضعفاء...، فإني أضع بين يدي القارئ الكريم القضايا التالية:

١- إن النقاش يدور حول الفترة الزمنية الأولى من الدعوة -وقد نبهت إلى ذلك مرارا- وهي ما يعبر عنها بالفترة السرية، والتي شكل فيها النبي ﷺ تلك المجموعة التي من مهامها الانتشار في القوم، ولا يدور الحديث حول مجموع أتباعه ﷺ بعد انتشار الدعوة في العلن، والتي دخلها من شاء الله تعالى له الهداية من الأشراف والسوقة.

ولذلك قال ابن حجر[٨٤]: وهو محمول على الأكثر والأغلب». أي بعد استعلان الدعوة حيث دخل الدعوة من شاء أن يدخلها، كثر عدد المستضعفين ودخل العبيد ومن لا شأن لهم في قريش آنذاك، فلا يستطيع محمد ﷺ أن يمنع أو يمنح نور الهداية عن أحد أو لأحد، إلا بتوفيق الله تعالى.

٢- هذا رأي هرقل وليس بالضرورة أن يكون صحيحا حيث قرر حال الدعوة من وجهة نظره، ومن خلال خبراته السابقة لدعوات الأنبياء لا من حيث الحقيقة كما هي على أرض الواقع، صحيح أن الذين آمنوا بعد استعلان الدعوة كان فيهم من الكبراء والمستضعفين والعبيد...، إلا أن الحديث هنا منصب على الفترة التي كانت الدعوة فيها تنشأ وتعد لقابل الأيام، ولذلك نجد ابن حجر يقول[٨٥]: والمراد بالأشراف هنا أهل النخوة والتكبر منهم، لا كل شريف حتى لا يرد مثل أبي بكر وعمر وأمثالهما، فيمن أسلم قبل هذا السؤال وهو محمول على الأكثر والأغلب».

٣- فماذا يقول أبو سفيان -إذا كان يعتبر المهاجرين ضعفاء- في حق الأوس

والخزرج الذين آمنوا بدعوة محمد ﷺ، هل هم ضعفاء القوم، أم من سقطهم أم من أرذلهم مكانة ونسبا؟! الجواب عنده.

الدليل السادس: ما قاله الطهطاوي(٨٦) وتبعه ناس عامة ضعفاء من الرجال والنساء كما يشير إلى ذلك الحديث «إن هذا الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ».

وهذا الحديث كما نرى لا يوجد فيه أي دلالة على الفقر أو العوز على أتباع النبي ﷺ، وسأعرض لأقوال عدد من علمائنا حول هذا الحديث ليتبين ما المقصود منه:

قال الطحاوي(٨٧) وجدنا الإسلام دخل على أشياء ليست من أشكاله، فكان بذلك معها غريبا لا يعرف، كما يقال لمن نزل على قوم لا يعرفونه أنه غريب بينهم، ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن عمر قال: ليأتين على الناس زمان يجتمعون في المساجد وليس فيهم مؤمن».

وقال النووي(٨٨) قال القاضي عياض: وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال، حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ».

وقال ابن حجر(٨٩) إنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به، وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، كانوا عند ذلك غرباء.

وقال ابن الأثير(٩٠) أي أنه كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده لقلة المسلمين يومئذ.

وعليه فإن وصف النبي ﷺ لهذه الفئة انطبق على واقع وهو القلة التي كانت عليها الدعوة في بداية أمرها، ثم كثرت بعد ذلك ولا يتمارى اثنان في أن الدعوة بدأت بعدد قليل، أما في ذاتهم في أنهم ضعفاء فلا، والوصف القرآني كما أشرنا آنفا كان بالغ الدقة حينما وصفهم بالمستضعفين وليس بالضعفاء.

إذن الحديث لا يصلح دليلا لا من قريب ولا من بعيد على ما ذهب إليه

الطهطاوي في وصف الجماعة الأولى من الفقر والعوز والضعف وقلة الحيلة وضعف المكانة.

الخاتمة وأهم النتائج

من خلال ما سبق استطعت استخلاص أهم النتائج التالية:

١- من أهم الدروس المستفادة من عمله ﷺ السرية التامة في إنشاء وتكوين التنظيم حتى يكون العمل مثمرا وذا نتيجة صحيحة.

٢- أن النبي ﷺ حرص على إبقاء التنظيم سريا فترة الإعداد، ولم تعلم قريش بمراد النبي ﷺ إلا حينما قام بالجهر بالدعوة، وإن شعرت في واقع الأمر بأن شيئا يدور في مكة إلا أنها لم تحمله على محمل الجد.

٣- أن النبي ﷺ حتى بعد أن جهر بالدعوة، لم يكشف التنظيم بأكمله بل أبقى جزءا منه غير معروف حتى للمسلمين، وذلك كجزء احتياطي يستخدم في أي وقت يراه مناسبا، بالإضافة إلى توفير عدة مكاسب من المجتمع الجاهلي لصالح الدعوة.

٤- كان النبي ﷺ يأمر كل من آمن بدعوته ﷺ من غير أهل مكة أن يعودوا لقبائلهم، وفي ذلك عدة دروس وعبر منها: إيجاد رأي عام في الجزيرة العربية للدعوة، وإيجاد أماكن أخرى للدعوة، كما أن الغريب في مكة مكشوف.

٥- ليس صحيحا ما قيل أن معظم أتباع محمد ﷺ في تلك الفترة هم من الفقراء والعبيد، وممن لا شأن لهم، والقائلون بهذا القول ليس لهم من الأدلة إلا عموم النصوص الشرعية، التي جاءت تتحدث عن الدعوات السابقة، وقد بينت بالأدلة خطأ هذا الفهم.

٦- كانت بداية الدعوة قائمة على الانتقاء الفردي، ولم يكن النبي ﷺ يوجه دعوته لأي شخص، بل وجهها لمن كان يثق به ويأمنه، حتى يجعل منهم النواة التي تنطلق منها الدعوة تبعا لطبيعة التنظيم ولطبيعة المرحلة القادمة.

٧- نجد أن النبي ﷺ حين الاختيار، لم يختر هؤلاء من قبيلته أو أقاربه، بل توزعت

الدعوة في كل بطون قريش بل وفي القبائل العربية التي تسكن مكة، فنجد من كل قبيلة واحدا أو اثنين أو ثلاثة، وكذلك توزعت الدعوة في الأغنياء والفقراء، توزعت في التجار والصناع وفي الشباب والكهول وبين ذوي الحسب والنسب والموالي والحلفاء والذين يعتبرون أقل في نسبهم.

٨- كان للمرأة آنذاك دورٌ لا يقل أهمية عن دور الرجل في مرحلة إنشاء التنظيم ونشر الدعوة فيما بعد وتحملت من الأذى والصبر ما عجز عنه بعض الرجال.

٩- من فقه إنشاء التنظيم عنده ﷺ استغلاله لطبيعة النظام العربي آنذاك والقائم على العصبية والقبلية، حيث لم يركز الدعوة في قبيلة بعينها بل حاول أن تتوزع الدعوة في كل قبائل مكة، بل وفي الحلفاء والموالي، وإن كان ﷺ يدعو في نفس الوقت إلى نبذ العصبية والقبلية باعتبارها لا تشكل الرابطة الصحيحة التي تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١- القرآن الكريم

٢-كتب التفسير

- محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ ٩٢٣م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٠ ج، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

٣-كتب الحديث النبوي الشريف ومصطلحه:

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ-١٤٤٩م). الإصابة في تمييز الصحابة، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت.

وله أيضا - تهذيب التهذيب،١٢م،دار صادر، بيروت.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣م، دار المعرفة، بيروت.

- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ-٨٥٥م). المسند، ٦م، دار الفكر، بيروت.

- أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ت(٣٢١هـ-٩٣٣م)، مشكل الآثار، ٤م، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد ـ الهند،١٣٣٣هـ، (١٩١٣م.

- جمال الدين المزي ت(٧٤٢هـ-١٣٤٢م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٣٥م، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

- عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح ت(٦٤٣هـ-١٢٤٥م)، علوم الحديث، ١م، تحقيق د. نور الدين عتر، المكتبة العلمية، ١٩٨١م.

- محمد بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ- ٩٦٥م)، الثقات، ٩م، إشراف: د. محمد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٧٣.

- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت ٢٥٦هـ-٨٧٠م). الجامع الصحيح (بهامش الفتح) ١٣م، تحقيق محمد بن عبدالعزيز بن باز، دار المعرفة بيروت.

- محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ-٨٤٥م). الطبقات الكبرى، ٨م، دار صادر بيروت.

- محمد بن عبدالرحمن السخاوي ت(٩٠٢هـ-١٤٩٧م)، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ٣م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

- محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ-٨٩٢م) الجامع الصحيح، ٥م، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- محي الدين يحي بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ-١٢٧٧م)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٨جزء، دار الفكر بيروت.

- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ-٨٧٥م). الجامع الصحيح، ٥م، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣.

كتب السيرة النبوية

- أحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣هـ-١٥١٧م)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ٣م، شرح وتعليق مأمون بن محي الدين الجنان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- سليمان بن موسى الكلاعي(٦٣٤هـ-١٢٣٧م)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ٤م، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م،
- عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٣هـ-٨٢٨م). السيرة النبوية، ٤ج، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط١، دار الخير، بيروت. ١٩٩٢.
- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ-١٠٦٤م) جوامع السيرة النبوية، ١م، ط٣، دار الجيل، بيروت ١٩٨٤م،
- محمد بن إسحاق المطلبي(ت ١٥١هـ ٧٦٨م)، السير والمغازي، ١م، تحقيق د. سهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ-١٠٧١م) الدرر في اختصار المغازي والسير، ١م تحقيق د. شوقي ضيف، ط٢ دار المعارف القاهرة.

كتب التاريخ الإسلامي

- أحمد بن أبي يعقوب العباسي المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢م، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ-١٣٧٣م): البداية والنهاية، ١٤جزء، تحقيق د. احمد أبو ملحم وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ-١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير(٦٣٠هـ- ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، ١٢م، ط٢، تحقيق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٨م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (جزء السيرة النبوية)، ٢٨م، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٩م.

- محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ-٩٢٣م) تاريخ الأمم والملوك، ٦م، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م.

الفكر السياسي الإسلامي

- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ-١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

كتب اللغة:

- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي(٧١١هـ-١٣١١م)، لسان العرب، ١٥م، دار صادر، بيروت.

- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ت(٦٠٦هـ-١٢١٠م)، النهاية في غريب الحديث، ٥م، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت.

ثانيا المراجع

١- كتب التفسير:

- سيد قطب (ت١٣٧٨هـ-١٩٦٦م). في ظلال القرآن، ٦م، ط٩، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠م.

٢-كتب السيرة

- أحمد فريد. وقفات تربوية مع السيرة النبوية، ١م، ط١، دار ابن القيم، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ٢م، ط٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٣م .

- جواد علي،تاريخ العرب في الإسلام (السيرة النبوية)، جزء واحد، ط١، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣م.

- رفاعة رافع الطهطاوي، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ١م، دراسة وتحقيق د.فاروق أبو زيد، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا.

- عبدالرحمن الشرقاوي، محمد رسول الحرية، ١م، ط٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م،

- أ.د. محمد رواس قلعة جي، قراءة جديدة للسيرة النبوية، ١م، ط٢، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٤م.

- الشيخ محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، ٣م، دار التراث، بيروت.

- د.محمد سعيد رمضان البوطي. فقه السيرة، ١م، ط٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.

- محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ٤أجزاء، ط١، دار القلم، بيروت، ١٨٨٥م.

- د.محمد عبد القادر أبو فارس. فقه السيرة، ١م، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة ١٩٩٥م .

- د.محمد عبدالقادر أبو فارس. السيرة النبوية، ١م، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٧م.

- محمد بن عفيف الخضري (ت ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ١م، تحقيق علي فاعوري، دار الفرقان، عمان.

- محمد علي، حياة محمد ورسالته، ١م، ترجمة منير البعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

- الشيخ محمد الغزالي، فقه السيرة، ١م، ط٧، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦م.

- منير محمد الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٣ أجزاء، ط١٠، دار الوفاء، المنصورة.

٣- كتب التاريخ الإسلامي

- د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٤م، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
- د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ٢م، ط ٢.
- د. عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية)، ٢م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- د . عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ١ مجلد، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت.
- محمد عزة دروزة في كتابه، تاريخ الجنس العربي، ٨ أجزاء، ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٦٢م.
- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ١٢م، ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت،(١٩٩١م).
- د. هاشم الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ١م، مطبعة جامعة الموصل، العراق، ١٩٩١م.

الفكر السياسي الإسلامي

- أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، ١م، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦.
- د.محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ١م، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م.
- د.مصطفى عبدالواحد، المجتمع الإسلامي، ١م، ط٣، دار البيان العربي، جدة، ١٩٨٤.
- د. نزار عبداللطيف الحديثي، الأمة والدولة في سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والراشدين، ١م، ط١، مطابع دار الحرية، بغداد، ١٩٨٧م.

كتب الثقافة العامة

- د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ١م، ط٦، المكتب الإسلامي، بيروت.

- محمد أحمد المقدم، عودة الحجاب، ٢م، دار طيبة، الرياض.

الكتب الأجنبية:

١- الكتب المترجمة

- أ. ول ديورانت، قصة الحضارة، ٣٨مجلد، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية - جامعة الدول العربية.

- براين تيرنر، علم الإجتماع والإسلام، ١م، ترجمة د. أبو بكر أحمد باقادر، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧م.

- توبي أ. هاف، فجر العلم الحديث الإسلام -الصين- الغرب، ٢م، ترجمة د. أحمد محمود صبيحي، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م.

- عباس القمي، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، ٢م، ترجمة نادر التقي، الدار الإسلامية، لبنان، ١٩٩٤.

- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ١م، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م،

- كونستانس جيو رجيو، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ١م، ترجمة د. محمد التوبجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٣م،

- لفيف من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية (مترجمة عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي) ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين، دار الفكر، بيروت.

٢- الكتب غير المترجمة:

- Abdul Hameed Siddiqi “The Life Of Muhammad” V1, No1, Islamic Publications LTD. Lahore (Pakistan) 1975

- Martin King “Muhammad - his life based on the earliest sources” V1, No1, Unwin Hyman Limited, London, 1988.

- M. Hart “The 100 Aranking of the most inhuential person in history, V1, A+W Puplishers. Inc. New york 1978.

- W. Montgomery Watt, Muhammads at Mecca, History In The Qoran, V1, Edinberg Uni. Press, 1988.

الهوامش:

(١) لقد جادل الأستاذ محمد عزة دروزة في كتابه [(تاريخ الجنس العربي، ٨أجزاء، ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٦٢م، (٦/٦٣-٦٤)، وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (دروزة: تاريخ الجنس العربي)]في أنه لم تكن مرحلة سرية بل بدأ النبي ﷺ دعوته جهرا وهذا بخلاف ما عليه أهل السير والتاريخ ممن كتب في سيرته ﷺ وستأتي الإشارة إلى هذه القضية لاحقا ص (١١) من هذا البحث فإن المصادر التي ذكرتها هناك اتفقت على ذكر الرعيل الأول ممن آمن وكان في فترة الاستخفاء. وانظر لمناقشة هذه القضية د. هاشم الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ١م، مطبعة جامعة الموصل، العراق، ١٩٩١م، ص(١١٠-١١١) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (الملاح: الوسيط)، وانظر الأستاذ جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام (السيرة النبوية)، ١م، ط١، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣م، ص(١٩٧) وما بعدها، وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (جواد: السيرة).

(٢) محمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١هـ-٧٦٨م). السيرة والمغازي، ١م، تحقيق د. سهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ص(١٣٧). وانظر محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ٤م، ط١، دار القلم، بيروت، ١٨٨٥م. (٥٢٨/١) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (عرجون: محمد رسول الله).

(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ-٨٧٥م). الجامع الصحيح، ٥م، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣. (٨٣٢/١). وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (مسلم: الصحيح).

(٤) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ-٨٥٥م). المسند، ٦م، دار الفكر، بيروت (٤/ ١١٢). وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (أحمد:المسند).

(٥) محي الدين يحي بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ-١٢٧٧م)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٨جزء، دار الفكر بيروت. (١١٥/٦) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (النووي: المنهاج).

(٦) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ٢م، ط٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٣م، (١٤٠/١). وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (العمري: السيرة الصحيحة).

(٧) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ-٨٧٠م). الجامع الصحيح (بهامش الفتح) ١٣م - تحقيق محمد بن عبدالعزيز بن باز، دار المعرفة-بيروت، مناقب

الأنصار، باب إسلام أبي ذر حديث رقم (٣٨٦١). وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (البخاري: الصحيح).

(٨) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ-١٤٤٩م). فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣م، دار المعرفة، بيروت، (٧/٧٤) وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (ابن حجر: الفتح).

(٩) سورة الفتح آية (٢٥).

(١٠) محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ-٩٢٣م) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٠ ج، دار الفكر، بيروت،١٩٨٨م، (٢٦/١٠٢-١٠٣). وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (الطبري: جامع البيان).

(١١) سيد قطب (ت١٣٧٨هـ-١٩٦٦م). في ظلال القرآن، ٦م، ط٩، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠م، (٦/٣٣٢٨)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (سيد قطب: في ظلال القرآن).

(١٢) عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٣هـ-٨٢٨م). السيرةالنبوية، ٤ج، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط١، دار الخير، بيروت ١٩٩٢، (٢/٦٣). وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (ابن هشام: السيرة).

(١٣) أحمد: المسند (٣/٣٤١).

(١٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ-١٤٤٩م). الإصابة في تمييز الصحابة، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت (٢/٢٦٣)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (ابن حجر: الإصابة). وأنظر أيضا لابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢م، دار صادر، بيروت، (٥/١٢٢) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (ابن حجر: التهذيب).

(١٥) أنظر جواد: السيرة ص (٢٠٠-٢٠٢)، وانظر الشيخ محمد الغزالي، فقه السيرة، ١م، ط٧، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦، ص(١٠٠).

(١٦) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، ٣م، دار التراث، بيروت، (١/٤١٠)، ود. محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ١م، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م، ص(٧٢)، ود. نزار عبد اللطيف الحديثي، الأمة والدولة في سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والراشدين، ١م، ط١، مطابع دار الحرية، بغداد، ١٩٨٧م، ص(٧٤)، عبدالرحمن الشرقاوي، محمد رسول الحرية، ١م، ط٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص(٨٦)، و أ. ول ديورانت، قصة الحضارة، ٣٨مجلد، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية-جامعة الدول العربية، (١٣/٢٦-٢٧)، ودروزة: تاريخ الجنس العربي (٦/٦٤)، ومحمد علي، حياة محمد ورسالته، ١م، ترجمة منير البعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م، ص(٧٤)، ورفاعة رافع الطهطاوي، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ١م، دراسة وتحقيق د. فاروق أبو زيد، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ص(١٦). وسيشار إلى هذا المصدر هكذا

(الطهطاوي: الإيجاز)، ود. عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ٢م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢/٥٠).

(١٧) د. محمد سعيد رمضان البوطي. فقه السيرة، ١م، ط٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م، ص (٩٤).

(١٨) المرجع نفسه (٩٦-٩٧).

(١٩) محمد عبد القادر أبو فارس. فقه السيرة، ١م، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة ١٩٩٥م، ص(٤٩).

(٢٠) محمد عبد القادر أبو فارس. السيرة النبوية، ١م، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٧م، ص (٩٤). وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد هكذا (أبو فارس: السيرة النبوية).

(٢١) أحمد فريد. وقفات تربوية مع السيرة النبوية، ١م، ط١، دار ابن القيم، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص (٧٠).

(٢٢) كونستانس جيو رجيو، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ١م، ترجمة د. محمد التويجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٣م، ص(٧٤)، وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (رجيو: نظرة جديدة).

(٢٣) ابن هشام: السيرة (٢٠١/١-٢١٠).

(٢٤) أنظر، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ-٣٩٢م) تاريخ الأمم والملوك، ٦م، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م (٥٣٩/١-٥٤١) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (الطبري :تاريخ الأمم)، ومحمد ابن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ- ٩٦٥م)، الثقات، ٩م، إشراف: د. محمد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٧٣، (٥٢/١-٥٤)، وعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ- ١٠٦٤م) جوامع السيرة النبوية، ١م، ط٣، دار الجيل، بيروت ١٩٨٤م، (ص ٣٦-٤١)، ويوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ-١٠٧١م) الدرر في اختصار المغازي والسير، ١م، تحقيق د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة. (ص ٣٨-٣٩) ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٨م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢٨م، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٩م. جزء السيرة النبوية، ص (١٣٧)، وإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ-١٣٧٣م): البداية والنهاية، ١٤م، تحقيق د. احمد أبو ملحم وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، (٢٤/٣) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (ابن كثير: البداية والنهاية).

(٢٥) أبو فارس: فقه السيرة، ص (٤٧-٤٨). وانظر:

Unwin Martin King "Muhammad - his life based on the earliest sources" V1, No Hyman Limited, London, 1988, P 46.

وسيشار إلى هذا المصدر هكذا: (Martin : Muhammad)

Abdul Hameed Siddiqi "The Life Of Muhammad" V1, No1, Islamic Publications LTD. Lahore (Pakistan) 1975, P 65.

(٢٦) العمري: السيرة الصحيحة (١٣٢/١-١٣٣). وانظر الملاح: الوسيط ص(١٢٣)، وانظر أيضا د. صالح العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ٢م، ط٢، (٣٣٦/١) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (العلي: محاضرات).

(٢٧) أنظر رجيو: نظرة جديدة ص(٨٧)، وانظر العلي: محاضرات (٣٢٨/١)، وجواد: السيرة ص(٢٠٠).

(٢٨) أنظر:

W. Montgomery Watt,Muhammads at Mecca, History In The Qoran, V1, Edinberg Uni. Press,1988, P 22.

وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (Watt: Muhammad) وانظر د. مصطفى عبدالواحد، المجتمع الإسلامي، ١م، ط٣، دار البيان العربي، جدة، ١٩٨٤، ص(٣٩).

(٢٩) سورة البقرة آية (١٧٠).

(٣٠) سورة الأعراف آية (٢٨) وأنظر سورة هود آية (١٠٩)، وسورة لقمان آية (٣١)، وسورة الزخرف آية (٢٣).

(٣١) أنظر أحمد: المسند (٣٠١/١).

(٣٢) أنظر Watt : Muhammad, P23

(٣٣) توبي أ. هاف، فجر العلم الحديث الإسلام، ٢م، ترجمة د. أحمد محمود صبيحي، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م.

(٣٤) أنظر Watt : Muhammad , PP 16-19

(٣٥) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ-١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، (١٣٨/١).

(٣٦) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ-١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص(١٢١).

(٣٧) براين تيرنر، علم الإجتماع والإسلام، ١م، ترجمة د. أبو بكر أحمد باقادر، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧م، ص (١٢١)، لكن لايفهم من ذلك اعتماد النظام السياسي على النظام القبلي، بل لقد جاء النظام السياسي الإسلامي بمفاهيم جديدة أوجدت للعرب دولة ما عرفت مثلها في منطقتهم من قبل، ولكن تعاملت الدولة الإسلامية مع واقع كان لابد لها أن تصوغه حسب الفكرة التي جاء بها الوحي فنفهم من ذلك ما قاله أبو بكر في سقيفة بني ساعدة «ولن

يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش أواسط العرب نسبا ودارا» (البخاري: الصحيح كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا حديث رقم(٦٨٣٠)، ونفهم من هذا الباب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سيدنا لوط عليه السلام عندما جاءه قومه يريدون أضيافه حيث قال: «لو أن لي بكم قوة أوي إلى ركن شديد، فما بعث الله من بعده نبيا إلا في ذروة من قومه» قال الترمذي: حديث حسن، أنظر: محمد بن عيسى الترمذي (٢٩٠هـ) الجامع الصحيح، ٥م، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (كتاب تفسير القرآن، باب سورة يوسف، رقم ٣١١٦، ٥/٢٩٣).

ولذلك قال تيرنر نفسه (ص٥٤) «و تعلن الهجرة انهيار روابط القرابة وبداية العهد الإسلامي».

(٣٨) أنظر: أ. د. محمد رواس قلعة جي، قراءة جديدة للسيرة النبوية، ١م، ط٢، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٤م، ص(١٤٤). وأنظر:

M. Hart "The 100 Aranking of the most inhuential person in history, V1, A+W Puplishers. Inc. New york 1978, P 34.

ومن هذه الفوائد المتحققة للدعوة الناشئة :

١- أنه كلما انتشرت الدعوة في قبائل قريش صعب تطويق الدعوة ورجالاتها لأنه بمجرد مساس رجل من قبيلة ما فإن قبيلته تنتصر له حتى لو خالفها في معتقده. وفي الحديث عن السرية آنفا نلاحظ أن أبا ذر أنقذه نسبه إلى الغفاريين . ونلاحظ أيضا أن قريشا عندما قاطعت بني هاشم قاطعتهم جميعا مؤمنهم وكافرهم فلم تفرق بين هذا ولا ذاك وإنما يجمعهم نسب واحد.

٢- إن الرجل الداعية يستطيع أن ينتشر انتشارا طبيعيا في قبيلته بعكس أي شخص آخر من غير هذه القبيلة والذي قد يثير الشبهات أو التساؤلات.

(٣٩) أنظر ابن هشام: السيرة (٢/٤٤).

(٤٠) أنظر علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (٦٣٠هـ-١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، ١٢م، ط٢، تحقيق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، (٢/٤٢) وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (ابن الأثير: الكامل)، وأحمد بن أبي يعقوب العباسي المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢م، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، (٢/٢٤)، وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (اليعقوبي:التاريخ) وسليمان بن موسى الكلاعي (٦٣٤هـ-١٢٣٧م)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ٤م، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م، (١/٢١٥)، وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (الكلاعي:الإكتفاء) وأحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣هـ-١٥١٧م)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ٣م، شرح وتعليق مأمون بن محي الدين الجنان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، (١/١١٧). وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (القسطلاني: المواهب اللدنية).

(٤١) أنظر ابن الأثير: الكامل (٢/٦٠)، وعباس القمي، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، ٢م،

ترجمة نادر التقي، الدار الإسلامية، لبنان، ١٩٩٤، (٧٦/١). والطبري: تاريخ الأمم (٥٥٢/١)، وابن كثير: البداية والنهاية (٩٤/٣).

(٤٢) ابن هشام: السيرة (٢٠٠/١-٢٠٢).

(٤٣) ابن حجر: الإصابة (٥٣٨/٣).

(٤٤) سورة الأنفال آية (٦٨).

(٤٥) ابن هشام: السيرة (١٠٨/٢).

(٤٦) لفيف من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية (مترجمة عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي) ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين، دار الفكر، بيروت (٦٣٠/١-٦٣١).

(٤٧) محمد بن عفيف الخضري (ت ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ١م، تحقيق علي فاعوري، دار الفرقان، عمان، ص (٤٢). وانظر العلي محاضرات (٣٣٦/١)، والملاح: الوسيط ص(١١٩)، وجواد: السيرة ص(١٩٣).

(٤٨) أنظر د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٤م، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، (٨٠/١)، ود. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ١م جلد، ط٥، دار العلم للملايين بيروت، (ص٥٢)، وعرجون: محمد رسول الله (٦٠٤/١)، والعلي: محاضرات (٣٣٦/١)، وجواد: السيرة ص(١٩٤)، ومحمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ١٢م، ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٩١م)، (٦٠/١)، وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (شاكر: التاريخ)، و Martin : Muhammad , P 68،

(٤٩) محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ-٨٤٥م). الطبقات الكبرى، ٨م، دار صادر بيروت. (٢٢٦/٣). وسيشار إلى هذا المصدر هكذا (ابن سعد الطبقات).

(٥٠) أنظر: ابن حجر: الإصابة (١٨٨/٢).

(٥١) البخاري: الصحيح، كتاب الفضائل باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٦٦٠).

(٥٢) ابن حجر: الفتح (٢٤/٧).

(٥٣) أحمد: المسند (٤٠٤/١).

(٥٤) راجع ص (٢) من هذا البحث وما بعدها حول السرية.

(٥٥) أحمد: المسند (٣٩٦/٤).

(٥٦) أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، ١م، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦، (ص٢٧-٢٨).

(٥٧) سورة التكوير آية(٨-٩).

(٥٨) سورة الإسراء آية (٣١).

(٥٩) أنظر غوستاف لوبون، حضارة العرب، ١م، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م، (ص٤٠٢-٤٠٣).

(٦٠) أنظر د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ١م، ط٦، المكتب الإسلامي، بيروت، (ص٢٢)، وانظر محمد أحمد المقدم، عودة الحجاب، ٢م، دار طيبة، الرياض، (٤٩/٢).

(٦١) منير محمد الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٣ أجزاء، ط١٠، دار الوفاء، المنصورة، (٢٧/١). وانظر العلي: محاضرات (٣٣٦/١).

(٦٢) ابن سعد: الطبقات (١٩٩/١).

(٦٣) أنظر جمال الدين المزيت (٧٤٢هـ-١٣٤٢م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٣٥م، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، (١٨٠/٢٦)، وابن حجر: التهذيب(٣٦٣/٩).

(٦٤) أنظر عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح ت(٦٤٣هـ-١٢٤٥م)، علوم الحديث، ١م، تحقيق د. نور الدين عتر، المكتبة العلمية، ١٩٨١م، ص(٤٨)، ومحمد بن عبدالرحمن السخاوي ت(٩٠٢هـ-١٤٩٧م)، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ٣م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، (١٣٨/١).

(٦٥) أنظر ص (١١) من هذا البحث.

(٦٦) سورة الأنفال آية (٢٦).

(٦٧) البخاري: الصحيح ،كتاب التفسير باب سورة تبت يدا أبي لهب حديث رقم (٤٩٧١)، ومسلم: الصحيح كتاب الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين (١٩٤/١).

(٦٨) ابن الأثير: الكامل (٤٢/٢). وانظر الكلاعي: الاكتفاء (٢١٥/١) والقسطلاني: المواهب اللدنية (١١٧/١) واليعقوبي: التاريخ (٢٤/٢)، والملاح: الوسيط ص(١١٧)، وجواد: السيرة ص(١٩٧).

(٦٩) العلي: محاضرات(٣٣٦/١)، وانظر الملاح:الوسيط ص(١١٩).

(٧٠) سورة الأنعام آية (٥٢).

(٧١) سورة الكهف آية (٢٨).

(٧٢) الطبري: جامع البيان(٢٠٠/٧).

(٧٣) سورة الحشر آية(٨).

(٧٤)الطبري: جامع البيان (٤٠/٢٨).

(٧٥) الطبري: جامع البيان (٤٠/٢٨).

(٧٦) سورة هود آية (٢٧).

(٧٧) سورة الأعراف آية (٧٥-٧٦).

(٧٨) البخاري: الصحيح، كتاب بدء الوحي باب رقم (٦) حديث رقم (٧).

(٧٩) سورة الأنفال آية (٢٦).

(٨٠) البخاري: الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله تعالى «من كان عدوا لجبريل» حديث رقم (٤٤٨٠).

(٨١) سورة يوسف آية (٢٨).

(٨٢) الطبري: جامع البيان (٢٧/١٢).

(٨٣) سيد قطب: في ظلال القرآن (١٨٧٢/٤).

(٨٤) ابن حجر: الفتح (٣٥/١).

(٨٥) ابن حجر: الفتح (٣٥/١).

(٨٦) الطهطاوي: الإيجاز ص(١٦).

(٨٧) أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ت(٣٢١هـ-٩٣٣م)، مشكل الآثار، ٤م، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد-الهند، ١٣٣٣هـ، (١٩١٣م، (٢٩٩/١).

(٨٨) النووي: المنهاج(١٧٧/٢).

(٨٩) ابن حجر: الفتح (٦/٧-٧).

(٩٠) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ت(٦٠٦هـ-١٢١٠م)، النهاية في غريب الحديث، ٥م، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت. (٣٤٨/٣)، وانظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (٧١١هـ-١٣١١م)، لسان العرب، ١٥م، دار صادر، بيروت، (٦٣٩/١).